

المحاضرة الرابعة

مدرسة التحليل النفسي

أولاً: نظرية سوليفان في العلاقات الشخصية المتبادلة (لبين شخصية)

Freud's Theory of Psychoanalysis

د. حسين عبدالفتاح الغامدي

السيرة الذاتية:



هناك بعض الأحداث المهمة في سيرة سوليفان والتي يبدو أنها أثرت في بناء نظريته ، أهمها:

1. العلاقة المنفصمة مع الوالد رغم انه لم يكن قاسياً. يقول سوليفان انه وصل إلى سن الرشد وهو يلاقي مصاعب في الحديث بحرية مع والده.
2. المراهقة الخجولة.
3. الرفض من الرفقة لأسباب عقائدية.
4. احتمالات الشذوذ الجنسي في مرحلة المراهقة.
5. تعرض للفشل الدراسي في دراساته الجامعية رغم توفقه في المرحلة الثانوية وذلك لأسباب اقتصادية في الدرجة الأولى، وحصل على شهادة الطب من جامعة سينت من وجهة نظره أغلقت في السنة التي تخرج منها.

الخلفية النظرية: العلاقة بين فكر سوليفان و فرويد.

1. تأثر بأفكار فرويد وبنج ، كما تأثر من جانب آخر بالاتجاه المعرفي في علم النفس ، ولهذا فقد استدخل هذا الجانب كواحد من المتغيرات في نمو الشخصية.
2. يتفق مع فرويد في أهمية الكبت ، إلا انه لم يفسره تفسيراً فرويدياً بمعنى نقل الخبرات من الشعور إلى اللاشعور، بل استخدم مصطلح العزل ليؤكد وحدة الشخصية وهذا يؤكد توجهه المعرفي.
3. تأثر بفرويد وبعض المعرفيين (هناك شبه كبير بين بعض أفكاره وأفكار بياجيه) في تأكيدهم على مراحل النمو النفسي.
4. يؤكد كما فعل غيره من علماء التحليل النفسي أهمية الطفولة.
5. لم يحدد بناءات للشخصية كما فعل فرويد أو بنج.
6. ركز على أهمية العلاقات الشخصية المتبادلة بدء بالعلاقة بالأم ثم المقربين فأعضاء المجتمع.
7. تأثر في بناء نظريته ببعض خبراته الشخصية في المراهقة.

النمو المعرفي و النمو النفسي Cognitive Development and Psychological Development

يعطي سوليفان أهمية كبيرة للنمو المعرفي ، ويبدو انه تأثر بأفكار علماء النفس المعرفي من أمثال بياجيه (راجع المقارنة بين المراحل الثلاث المحددة من قبل سوليفان والمراحل الست الفرعية للمرحلة الأولى من مراحل النمو المعرفي كما حددها بياجيه) ويرى انه من المتغيرات المهمة في تحديد طبيعة العلاقات المتبادلة ومن ثم في بناء الشخصية، ويحدد ثلاث مستويات للنمو يمكن تلخيصها في:

1. الخبرة المبكرة Prototaxic ويعتمد نمو الخبرة في هذه المرحلة أو هذا الطور على الاحساسات التسلسلية Serial Sensations ، ويتسم الفرد فيها بالتمركز حول الذات ، وعدم القدرة على إدراك ذاته ككيان منفصل عما حوله، كما تتسم احساساته بالانفصال (الانعزال) عن بعضها، و أيضا يتسم الفرد بعدم فهم العلاقات السببية. (تقابل المراحل الفرعية 1، 2 من المرحلة الأولى من مراحل النمو المعرفي لبياجيه)
2. الخبرة التراكمية Parataxic ، ويعتمد نمو الخبرة المعرفية في هذا الطور على الاحساسات المتعاقبة Sequential Sensations، ونعني بها أن الفرد يدرك تعاقب الأحداث وتتابعها لكنه لا يدرك العلاقة السببية بين الأحداث والمسببة لهذا التعاقب. يدرك الفرد قدرته و إرادته، يقل تمركزه حول ذاته، يؤمن بالسببية السحرية فالإرادة هي السبب (الأشياء تحدث لأننا نريدها أن تحدث). (تقابل المراحل الفرعية 3، 4 من المرحلة الأولى للنمو المعرفي في نموذج بياجيه)
3. الخبرة المنظمة Syntactic ، وتعتمد خبرة الفرد المعرفية على إدراك الفرد للعلاقات السببية بين الأحداث Causal Sensations ، ينتهي تمركز الفرد حول ذاته، تستخدم اللغة للتنبؤ بالأسباب (لاحظ الفروق بين هذه الفكرة عن اللغة ورأي كل من بياجيه ثم رأي فايقاتسكي). يستطيع إدراك العلاقات والاستمرارية بين الماضي والحاضر والمستقبل. تتعكس هذه الخبرات المنظمة على طبيعة علاقاته المتبادلة. (تقابل المراحل الفرعية 5، 6 من المرحلة الأولى من مراحل النمو المعرفي في نموذج بياجيه).

عملية التخصّص والتجسيّدات Personification

يبدأ إدراك الفرد لذاته خلال الطفولة ومن خلال عمليات الرعاية الفسيولوجية والبدنية والتربوية والتدريب والتي تقوم بها الأم لطفلها. فمن خلال تعاملها وتدريبها له يبدأ الفرد بتكوين مفاهيم تجسيدية لذاته وذلك من خلال رؤيته للام على أنها أم جيدة أو غير جيدة في الشهور الأولى إذ لا فرق بين ذاته وذات الأم في هذه المرحلة (سيأتي تفصيل ذلك)، ثم من خلال رؤية وتقييم الأم لنتائج أفعاله، وتشمل هذه التجسيّدات ما يلي:

1. الذات الجيدة ويستخدم سوليفان مصطلح Good me لذلك (لا بد من إدراك الفرق هنا بين I و Me وقد استخدمت Me للتعبير عن الذات كموضوع)، وتشمل السمات المقبولة من وجهة نظر الأم وبالتالي من وجهة نظر الطفل (راجع وجهات النظر المشابهة مفهوم الذات السلبي والإيجابي من وجهة النظر الإنسانية).
2. الذات السيئة : ويستخدم سوليفان مصطلح Bad me للإشارة إلى هذا الجزء من الذات وتشمل السمات غير المقبولة.

3. الذات المعزولة (المنكرة)، ويستخدم سوليفان مصطلح Not me للإشارة لتلك السمات المرفوضة بشدة والتي يتم عزلها (راجع الفرق بين مصطلح الكبت والعزل) وكأنها ليست جزء من ذات الفرد. هذا العزل المعرفي يعيق ارتباطها بالخبرات أو المدركات الأخرى عن الذات.
4. يستمر تأثير المتبادل بين الفرد والآخرين مدى الحياة مما يعني تأكيد بعض التجسيدات أو تغييرها ، وقد استخدم مصطلح (Me-You) للإشارة للعلاقة بين ذات الفرد Me والآخرين You .

القلق :

1. القلق أساسي في نظرية سوليفان وينتج من الشعور بانعدام مشاعر الأمن في العلاقات الشخصية المتبادلة.
2. يبدأ القلق مع بداية الحياة ، وينتج من العلاقات الشخصية المتبادلة مع الأم في تفاعل مع القدرات المعرفية. في البداية لا تسمح قدرات الفرد المعرفية للرضيع بالتفريق بين ذاته وذات الأم ولذا فان قلقها أثناء الرعاية والرضاعة يعتبر قلقه وقد عبر عن ذلك في أربعة أنماط من الأمهات مستخدما كلمة (الحلمة Nipple) لتمثيل الأم كمصدر للإشباع في هذه المرحلة وتشمل :
 - الأم (الحلمة وفق مصطلح سوليفان) الجيدة المشبعة.
 - الأم الجيدة غير المشبعة.
 - الأم غير الجيدة المشبعة.
 - الأم الشريرة (الحلمة الشريرة Evil Nipple)
- يستخدم الفرد نظام أمني Security-system (مشابه لفكرة فرويد عن ميكانيزمات الدفاع ، بل يمكن اعتبارها التعديل المعرفي للفكرة). ويعتبر العزل والانتباه الانتقائي من أهم العمليات المستخدمة لتحقيق الأمن وخفض القلق.

ديناميكية النظام النفسي (The self- System):

- استخدم مصطلح الديناميكيات Dynamism ليشير إلى عملية تحول الطاقة إلى سلوك سواء كان ظاهرا أو خفيا شعوريا أو لا شعوري والذي يؤدي إلى إشباع الحاجة.
- نظام ديناميكي ينتج من العلاقات المتبادلة وخاصة في مرحلة الطفولة. والديناميكية النفسية كما يراها تعبر عن نمط معتاد في العلاقة مع الآخرين . Habitual pattern of relation to other
1. يشمل النظام النفسي تلك التجسيدات (التشخيصات) المكونة عن الذات والتي تشمل الذات الجيدة ، الذات السيئة ، الذات المرفوضة.
 2. من خلال العزل يتم التكيف مع الآخرين . هذا العزل يتم من جانب بين الذات الجيدة والذات السيئة، كما يتم عزل الذات المرفوضة عنهما من جانب آخر. كما يتم في حالة الاضطراب العزل بين الأفكار وبين الانفعالات وأيضا بينهما وهذا ما يحدث لدى الفصامين.
 3. تتمثل وظيفة النظام النفسي في خفض القلق الناتج عن العلاقة مع الأم في البداية ثم مع الآخرين فيما بعد، ولان المعايير الاجتماعية تصبح جزء من النظام النفسي فان الإنسان يميل إلى تجنب الخبرات والرغبات غير

المقبولة المؤدية للقلق مستخدما استراتيجيات النظام الأمني Security system ومن أهمها العزل والانتباه الانتقائي..

4. تبقى العلاقات مع الآخرين مهمة حتى في مرحلة النضج، ولقد خرج بمفهوم جديد ليؤكد أهمية هذه العلاقات في تكوين شخصية الفرد وذاته وهو (أنا- أنت Me-You) حيث تتغير التجسيدات التي نضعها للآخرين أو لذواتنا وفقا لطبيعة التفاعل، كما تختلف استجابات الأفراد أو استجاباتنا وفقا لهذه لتجسيدات.

مراحل النمو المعرفي - النفس الاجتماعي لدى سوليفان:

| مراحل النمو | العمر | ما يقابلها من مراحل النمو الزمنية | نمو اللغة والعلاقات الشخصية المتبادلة | نمو التفكير المعرفي | خصائص النمو |
|-------------------|------------------|--|--|---|---|
| الرضاعة | صفر - 18 شهر | الرضاعة | الميلاد - نمو اللغة | خبرات بدائية واحساسات منفصلة | بدء ظهور التجسيدات الجيدة و السيئة والمنفصلة والتي تنشأ كنتيجة لطبيعة التعامل مع الأم |
| الطفولة | 18 شهر - 5 سنوات | الطفولة المبكرة | من اللغة -- < اللعب الحاجة إلى رفيق لعب | خبرات حسية تراكمية متتابعة | علاقة ذاتية مع الأصدقاء بدء انتقال الحقد والعداء الناتج عن القلق ، التقليد والتصرف (كما لو كان As if)، كما لو كان الأب مثلا. |
| الصبا | 6 - 9 سنوات | الطفولة المتوسطة | استخدام قواعد اللغة، الحاجة إلى صديق | خبرات تراكمية خبرات منظمة وفهم العلاقات السببية | العلاقة المتبادلة والتعاونية في اللعب الولاء الاجتماعي وظهور التكيف الاجتماعي الناتج عن المدرسة |
| ما قبل المراهقة | 10 - 12 سنة | الطفولة المتأخرة وبداية المراهقة المبكرة | الصدقة الحميمة مع صديق من نفس الجنس | خبرات منظمة وفهم للعلاقات السببية | الحاجة إلى علاقة جيدة وصدقة مع نفس الجنس تأكيد خبراته وقوتها بدء خبرة الحب غير الأناني |
| المراهقة المبكرة | 13 - 18 سنة | المراهقة المبكرة والمتوسطة | الاهتمام بالجنس الآخر | خبرات منظمة وفهم للعلاقات السببية | حاجة إلى شريك من الجنس الآخر تصادم رغباته الجنسية مع حاجته إلى الحب والأمن والعلاقة الحميمة |
| المراهقة المتأخرة | 19 - 20 سنة | المراهقة المتأخرة | بداية العلاقات الجنسية مع الجنس الآخر العلاقة الاجتماعية الراشدة | خبرات منظمة وفهم للعلاقات السببية | ظهور هويته العملية النمو يبدو متأثرا بخبراته السابقة نشوء الصداقة الراشدة الحاجة إلى علاقة مع الجنس الآخر |
| الرشد | 20 - --- - | الرشد | الحب الحقيقي | خبرات منظمة وفهم للعلاقات السببية | استمرارية النضج فما سبق |

تفسير القلق والفصام وعلاقته بطبيعة الخبرة المعرفية:

من خلال عمله لمدة طويلة مع الفصاميين توصل سوليفان إلى تفسير للقلق والفصام ينسجم مع مسلماته النظرية، حيث ينسجم تفسيره لهما مع المسلمتين الأساسيتين في نظريته وهما أهمية اثر الخبرة المعرفية والعلاقات الشخصية المتبادلة. ولهذا يختلف إلى درجة كبيرة عن التفسيرات السابقة من حيث ارتباطها بدوافع محددة كالجنس أو العدوان أو من حيث ارتباطه بالخبرات اللاشعورية. حيث يرى أن القلق ينتج من طبيعة العلاقات المتبادلة وطريقة تفسير الفرد لطبيعة هذه العلاقة (الإدراك المعرفي) حيث يرى:

1. للمراحل المبكرة أهمية كبيرة.

- الطفل في مرحلته الأولى لا يميز ذاته عن المحيط ، ثم في مرحلة تالية لا يفرق بين ذاته أو مشاعره عن ذات الأم ومشاعرها. ولهذا فان قلق الأم هو قلقه ، و لأنه لا يقوم بأي فعل تجاه القلق فان على الأم وهما شيء واحد القيام بذلك، أما إذا كانت قلقة أو كانت سبب في القلق فانه لا يمكن خفض قلق الطفل إلا بانخفاض قلق الأم.
 - في المرحلة الثانية تكون الخبرات تراكمية متعاقبة ، إلا انه لا يدرك العلاقة السببية بينها. قلقه يرتبط بالنتائج السلبية الحادثة دون الارتباط بالسبب، حيث تصبح النتيجة مصدرا للقلق.
 - في المرحلة الثالثة يرتبط القلق بالنتائج مرتبطة بشكل واضح بالأسباب.
2. يتم عزل الخبرات المؤلمة أو المقلقة ويبقى أثرها مستمرا. و كما هو الحال في الخبرات المكتوبة (من وجهة النظر الاثروبيدية) تبقى الخبرات المعزولة ذات اثر في شخصية الفرد.
 3. عندما يزداد القلق بدرجة كبيرة تظهر الأعراض الفصامية حيث تتفصل الخبرات من الوعي ومن مراقبة الذات ، وهذا ما سماه بالخبرات المعزولة (لاحظ الفرق بين مفهومي العزل والكبت). هذه الخبرات أساسا تدور حول موضوع مهم لدى الشخص قبل دخول الفرد في الفصام. هذا يعني أن الفصام يرتبط بالخبرات الماضية . إذا فهو تطور لعملية الحياة التي تتحول فيها بعض الدوافع إلى مركز اهتمام الفرد وعامل مشترك في الخبرات الاجتماعية.

نتائج:

1. إعطاء العلاقات الاجتماعية أهميتها في تحديد نمو الشخصية بادرة جيدة ، إلا أن ما يؤخذ على سوليفان هو التركيز على هذه العلاقات المتبادلة وإهمال أهمية العوامل والدوافع الأولية.
2. إدخاله للجانب المعرفي ذو أهمية كبيرة ويعتبر واحد من الأساسات المهمة في تغيير وجهة النظر التحليلية في العصر الحاضر ، وقد انعكس على أفكار كثير من المحدثين من أمثال لافنجر.
3. فكرته عن العزل والانتباه الانتقائي تنسجم بشكل اكبر مع توجهه المعرفي ولكنها أقل انسجاما مع توجهه التحليلي، وتبقى محاولة قيمة وبدليل من الناحية المعرفية لمفهوم الكبت في تفسير ديناميكية العقل البشري، إلا أنها أكثر سطحية من مفهوم الكبت.
4. بالرغم من أن انفصال الخبرات عرض أساسي للفصام ، فان تفسير سوليفان للفصام سطحي ويخالف كثير من نتائج الأبحاث الحديثة.